عزيز فهمي

والنضال من أجل حرية الكلمة

دائما ما تفرز الثورات أعلاماً كثيرة فى مجالات الفكر والثقافة والأدب.. يواكبون أهدافها.. ويضحون من أجل شعوبهم المقهورة.

وهذا أحد أعلام الدعوة إلى الحرية.. وأحد أبطال الوطنية والجهاد ضد الاحتلال.

ففي ريف مصر الأصيل.. ولد عزيز فهمي عام 1909 بطنطا وتلقى تعليمه حتى الثانوية هناك.. ونال شهادة البكالوريا فى مدرسة الجيزة الثانوية.

وتفتحت عيونه على هذه الإرهاصات الاجتماعية والسياسية لثورة 1919.. فبدأ يعبر عن أرائه وأفكاره منذ حداثة سنه.

ونال ليسانس الآداب عام 1932 وليسانس الحقوق عام 1933 وكان يجمع بين الدراستين.. ثم سافر إلى باريس وحصل على الدكتوراه فى القانون عام 1938 وكان موضوعها (الامتيازات الأجنبية فى مصر ومعاهدة مونترو) وكانت أول رسالة من مصري عن هذه المعاهدة.

ويعود إلى مصر عام 1942 مملوءا بالوطنية ليشغل منصب وكيل نيابة بالمحاكم المختلطة.

لكنه سرعان ما ضاق بالعمل الحكومي فاستقال.. واشتغل بالمحاماة والصحافة.. ووقف قلمه ولسانه على الجهاد فى سبيل الحرية ومقاومة الاستعمار والفساد.

ويعتقل عزيز فهمي أكثر من مرة.. متهماً بالعيب فى الذات الملكية أو التحريض على الإخلال بالنظام.. وفى سجن الأجانب معتقلاً فى يونية 1946 كتب يقول:

كفاك عزاءً أنك اليوم أوحدُ

وقد يسكن الغمَد الحسامُ المجردُ

يهون عذاب السجن والليل موحشٌ

ويُذهب عنك الحزنَ فيه تجلدُ

وقد يؤسر الليثَ المنيعَ عرينهُ

ويرهب منه الصوتُ وهو مصفَّدُ

أهبتُ بقومى أن يذودوا عن الحمى

ومازلت أدعوهم ومازلت أشهدُ

أهبت بقومى والخطوب زواحفٌ

تلم بهم طوراً وطوراً تُهدَّدُ

وأنذرتُ حتى بُحّ صوتى ولم أزلْ

ومصر تناديهم وصوتى يردد

ويقول فى قصيدة أخرى عن مصر وهو فى السجن أيضا:

جارت عليها صروف الدهر واختلفت

أيـدى الــرماة فــآهاً مــن أعاديهـا

راشـوا لها السَّهم مـسـموماً فـشتتها

وكـاد لـولا يــد الــرحمن يـصُميها

وأثخنوهـا جــراحاً فــى مــقاتلها

يـا للجــريمة مــن عــدوان آسـيها

تـشـعب الــرأى والأحـزاب سـادرة

ومـصـر صـابرة والـصـبر يـضنيها

وكــيف تـنهض مــن أسـر يكبلهـا

والقيــد آمــرها والقيــد ناهيهـا

ويدخل عزيز فهمي البرلمان عـام 1950 منتخبـا عـن حـزب الوفـد.. وكانت له مواقفه الوطنية المشهودة خطيباً وشاعراً مناضلاً.. وكثيرا ما دوى صوته معارضاً لقوانين وقرارات تقييد الحرية أو الرقابة على الصحف.

كما كان معارضاً قوياً للمعاهدات مع الاحتلال.. منددا بما يقوم به مـن اعتداءات على الآمنين من بني وطنه.. ففي نوفمبر عـام 1946 قـال ينـدد بالإنجليز حينما اعتدوا على المواطنين فى القاهرة والإسكندرية:

سـلوا مـن سـامها هـذا العـذابا

ومـن شرع الأسـنَّةَ والحرابـا

سـلوا جـلادها تبـتّ يـداه

بـأى شريعـة فـرض العقابـا

أمـا ينهـاه عقـلٌ أو ضـميرٌ

يـرد لـه المحجـة والـصوابا

ضـلالٌ أن يعاتـب مـستبدّ

وأولـى بالمـسوَّد أن يعابـا

وجهـلٌ أن يخاطـب غـير أهـلٍ

فـلا تحـزن عليـه إذا تغـابي

يـصعر خـده صـلفاً وحمقـاً

ويوردهـا عـلى ظمـأ سـرابا

ويبدو أن الشاعر هنا لم يكن يقصد الإنجليز فحسب وإنما كان يقصد أيضا حكام مصر الذين كانوا يمالئون الاستعمار ويهادنونه..

وينهى الشاعر قصيدته مخاطبا بنى وطنه بقوله:

ويـا وطنـى فـديتك مـن جـراح

إذا نكـأت حـملناها عـذابا

وهـل يأسـو الجـريح سـوى جـريح

يــشاطـره الفجيعــة والــصـوابا

وطـــوبى لـــلألى ذهـــبوا فـــداء

إلى الرضـــوان واســـتبقوا الثوابـــا

بنـى وطنـى أهـــبت بكـــم زمانـا

فـــلما بـــح صـــوتى قيـــل هابـــا

ولـــو نطـــق الجـــماد كـــما نطقنـــا

لأســـمعه الـــصدى عـــنكم جوابـــا

ولما اشتعلت معركة القنال بين الفدائيين والإنجليز (عقب إلغاء معاهدة 1936) فى عام 1951 سافر الشاعر إلى القنال وأسهم فى حركات المقاومة ضد الإنجليز.. واستهدف للقتل أكثر من مرة.

وتوفى عزيز فهمي فى أول مايو عام 1952 فى حادثة فاجعة.. فقد كـان على سفر إلى الفشن فى الصباح ليترافع فى إحـدى القـضايا وكـان يـستأجر سيارة خاصة.. فوقع له قبل العياط حادث فجائي قلب السيارة وهوى بهـا فى الترعة الموازية للطريق فمات الشاعر غريقاً لكن السائق تمكن مـن القفـز من السيارة والنجاة.. مما جعل أصابع الاتهـام تـشير إلى الملـك الـذى كـان أعوانه يتربصون بالشاعر فى كل مكان.